

# الدُّعَاءُ

## عناصر الموضوع

٣١٦	مفهوم الدعاء
٣١٧	الدعاء في الاستعمال القرآني
٣١٩	الألفاظ ذات الصلة
٣٢١	الحث على الدعاء وبيان منزلته
٣٢٨	آداب الدعاء
٣٤٣	أنواع الدعاء
٣٦١	آثار الدعاء

## مفهوم الدعاء

## أولاً: المعنى اللغوي:

الدعاء: مصدر الفعل (دعا) ويقال: دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم: الدعوة، ودعيت فلاناً صحت به واستدعيته، والدعوة المرة الواحدة، والدعاء واحد الأدعية. والدعاء أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت فلاناً أدعوه دعاءً، أي: ناديته، وطلبت إقباله، يقال: دعوت الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير، ودعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر<sup>(١)</sup>. والحاصل: أن أصل الدعاء: النداء والطلب مطلقاً، مع ملاحظة استعلاء المنادى المطلوب منه.

## ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

هو: سؤال العبد ربه حاجته. قال القاضي أبو بكر بن العربي: حقيقة الدعاء: مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة من المضار<sup>(٢)</sup>. وقال الخطابي في معنى الدعاء: «استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود، والكرم إليه»<sup>(٣)</sup>. العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي: المعنى اللغوي والاصطلاحي متوافقان؛ إذ كل منهما يدلان على النداء والطلب، إلا أن المعنى الاصطلاحي خص هذا النداء بأنه نداء من العبد للرب.

(١) انظر: الصحاح، الجوهري، ٦/ ٢٣٣، لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٢٥٧، تاج العروس، الزبيدي، ١/ ١٣٧.

(٢) انظر: مقدمة الترغيب في الدعاء والحث عليه، عبدالغني المقدسي، ص ٥٤.

(٣) شأن الدعاء، ص ٤.

## الدعاء في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (دع و) في القرآن الكريم (٢٠٧) مرات، يخص موضوع البحث منها (٢٠٥) مرات<sup>(١)</sup>.

والصبيغ التي وردت هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]	٣٠	الفعل الماضي
﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]	١٠٦	الفعل المضارع
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]	٣٢	فعل الأمر (دعائي)
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨]	٧	اسم فاعل
﴿وَمَا دُعَاءُ الْكٰفِرِينَ اِلَّا فِي سَبٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤]	٢٠	اسم
﴿لَهُ دَعْوَةٌ لِّلْقَى﴾ [الرعد: ١٤]	١٠	مصدر

ورد الدعاء في القرآن على خمسة أوجه<sup>(٢)</sup>:

الأول: القول: ومنه قوله تعالى: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [يونس: ١٠] يعني: قولهم في الجنة.

الثاني: العبادة: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ اٰنۡدَعُوْا مِنْ دُوۡنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١] يعني: أنعبد من دون الله.

الثالث: النداء: ومنه قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ اَنۡى مَّغْلُوۡبٌ فَاٰنۡصُرۡنِى﴾ [القمر: ١٠] يعني: فننادى ربه أني مغلوب.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٢١٣-٢١٥.

- الرابع: الاستعانة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [غافر: ٢٦] يعني: وليستعن بربه.
- الخامس: السؤال: ومنه قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: ٦١] يعني: سل ربك.

## الألفاظ ذات الصلة

## ١ الذكر

الذكر لغة:

الذُّكْر: ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذُّكْر: ما ذكرته بقلبك<sup>(١)</sup>.

الذكر اصطلاحًا:

قال الراغب الأصفهاني: «الذُّكْرُ: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذُّكْرُ يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذُّكْرُ ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان. وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ. وكل قول يقال له ذكر»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن علان: «أصل وضع الذكر هو ما تعبدنا الشارع بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه»<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين الدعاء والذكر:

قال ابن القيم: «إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه، متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً لتضمنه الطلب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أفضل الدعاء الحمد لله)، فسمى الحمد لله دعاءً، وهو ثناء محض، لأن الحمد يتضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجةً ما»<sup>(٤)</sup>.

## ٢ الاستغاثة

الاستغاثة لغة:

مصدر استغاث، وهو مأخوذ من الغوث بمعنى: الإغاثة والنصرة عند الشدة<sup>(٥)</sup>.

(١) تهذيب اللغة، الأزهرى ١٠ / ٩٤.

(٢) المفردات ص ٣٢٨.

(٣) الفتوحات الربانية شرح الأذكار النووية ١ / ٣٩٦.

(٤) بدائع الفوائد ٣ / ٩.

(٥) انظر: لسان العرب ٦ / ٣٣١٢.

الاستغاثة اصطلاحًا:

طلب الغوث في الشدائد والأزمات<sup>(١)</sup>.

الصلة بين الدعاء والاستغاثة:

الدعاء أعم من الاستغاثة؛ إذ الدعاء طلب لدفع الشر وجلب الخير، يعني: فيكون في الشدة وفي الرخاء، أما الاستغاثة فهي طلب لدفع الضرر لا لجلب الخير، فلا تكون إلا في الشدة، فكل مستغيث داعٍ وليس العكس.

٣ الاستعاذة:

الاستعاذة لغة:

مصدر استعاذ، وهي من مادة (ع وذ) التي تدلّ على الالتجاء إلى الشيء<sup>(٢)</sup>.

الاستعاذة اصطلاحًا:

هي: اللجوء والاعتصام، وطلب كف الشر<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين الدعاء والاستعاذة:

الدعاء طلب دفع ضرر أو جلب نفع، أما الاستعاذة فهي التحصن بالله واللجوء إليه.

٤ الاستعانة:

الاستعانة لغة:

الاستعانة مصدر استعان، وهي: طلب العون، يقال: استعنته واستعنت به فأعانتني<sup>(٤)</sup>.

الاستعانة اصطلاحًا:

لا يخرج عن المعنى اللغوي، فالاستعانة: طلب العون.

الصلة بين الدعاء والاستعانة:

الاستعانة طلب للعون، سواءً بالدعاء أو بغيره، والدعاء قد يكون طلبًا لدفع شر، أو جلب

خير.

(١) انظر: الكليات، الكفوي ص ١٥٩.

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري ٢ / ٥٦٧، لسان العرب، ابن منظور ٤ / ٣١٦٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١ / ١١٤.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٣ / ٢٩٨.

## الحث على الدعاء وبيان منزلته

تعددت وتنوعت أساليب الدعاء في القرآن حثاً عليه، وبياناً لمنزلته، وهذا ما نستعرضه في النقاط الآتية:

### أولاً: صور الدعاء وتراكيبه:

الناظر في الدعاء القرآني يجده قد جاء على أساليب شتى، تجمع بين الخبر والانشاء؛ مما نستعرضه فيما يأتي:

#### ١. الدعاء بفعل الأمر.

كثر الدعاء بأسلوب الأمر (الطلب) حتى إنه جاء أكثر من مائتين وثلاثين مرة، ولم ترد في الدعاء من صيغ الأمر المعروفة سوى ثلاث صيغ:

صيغة (افعل): وهو أكثر الصيغ وروداً، كقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤﴾ و﴿وَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿ [الشعراء: ٨٤-٨٦].

وفي دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]. وقولهم كذلك: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقد ورد في قوله تعالى تعليماً لنبية صلى الله عليه وسلم ولأمته: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي

مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيحًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

صيغة (فعل): كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

صيغة (تفعل): نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٢. الدعاء بالمصدر النائب عن فعل الأمر.

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿عَفِّرَانَا رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْمَكِيدُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].  
٣. الدعاء بأسلوب النهي.

النهي هو «طلب الكف عن الفعل، استعلاءً، وله صيغة واحدة وهي لا تفعل، وهو كالأمر في أنه قد يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية منها (الدعاء) وذلك إذا كان على وجه التذلل والخضوع لله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء الدعاء بأسلوب النهي نحو خمس عشرة مرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) مختصر السعد الفتازاني ضمن شروح التلخيص ٢/٣٢٤.

وقوله أيضًا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وقوله كذلك: ﴿وَزَكَّرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥].

وقد بينى الدعاء على الأمر وحده؛ كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَسِّتْ أقدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقد بينى على النهي وحده، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَوَاجِدْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد يجمع بين الأمر والنهي في مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَهَلْ نُنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْبِعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وليس لذكرهما معًا قاعدة معينة في الترتيب، فقد يذكر الأمر أولاً، ثم يليه النهي، وذلك كالأية الأولى أو العكس، فيبدأ الدعاء بالنهي، ثم يتبعه الدعاء بالأمر.

وقد يكون الدعاء بهاتين الصيغتين متلوًا بما يقويه ويؤكد؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ فجملة: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ جاءت تذييلًا مؤكدًا لمضمون الجملة قبله، ومثله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

وقوله كذلك: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنْكَ بَرَكَاتٍ كَثِيرًا وَتَجَارَةً يُضَرِّبُهَا اللَّهُ فِي الَّذِينَ هَدَىٰ وَإِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].  
فجملتا ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ و﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جاءتا تأكيدًا لما قبلها.

#### ٤. الدعاء بأسلوب الاستفهام.

جاء الدعاء بأسلوب الاستفهام في موضعين، والاستفهام في حقيقته يستعمل (لطلب حصول صورة الشيء في الذهن) وقيل: هو «طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل»<sup>(١)</sup>.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معانٍ بلاغية، تفهم من السياق، من بينها الدعاء<sup>(٢)</sup>؛ ومنه قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

(١) مختصر السعد للقريني، ومواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص، ابن يعقوب المغربي ٢٤٦/٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، المعجم العلمي العراقي ١/ ١٨١.

لم يكن بأسلوب الدعاء المشهورين: الأمر والنهي، وإنما جاء بالأسلوب الخبري، والذي دلّ أنه دعاء قوله تعالى بعده: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَيَّعْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وكذلك ما جاء في دعاء سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فهو عليه السلام لم يدع الله صراحة، بل عرض حاجته في أدب، وأطلقها على حياة من الله، فعرض وكفى عن طلبه -رفع البلاء والضرر عنه- بالخبر دون الإنشاء، جاءت الآية بعد قوله هذا، فدلّت على أن ما صدر منه هو دعاء وتضرع.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

ثانياً: تسمية الدعاء عبادة:

الدعاء هو حقيقة العبادة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُ الْوَالِحِينَ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا جَنَّهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَفَّارٍ

أي: لا تهلكنا «فهذا استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطف وتذلل»<sup>(١)</sup>، ومثله قوله تعالى: ﴿فَاعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] أي: أخرجنا.

٥. الدعاء بأسلوب الخبر.

جاء الدعاء بالأسلوب الخبري في تسع آيات؛ ولهذا الأسلوب مزية ذكرها الزركشي رحمه الله حين أشار أن في «لفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته؛ وأنه مما ينبغي أن يكون واقعاً ولا بد، وهذا هو المشهور»<sup>(٢)</sup>.

وأشار بعض البلاغيين إلى أن الخبر قد يقع موقع الإنشاء «إما للتفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه -والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين- أو للاحتراز عن صورة الأمر»<sup>(٣)</sup>.

ونجد أن الدعاء بأسلوب الخبر قد التزم الجملة الاسمية للتعبير عن حاجات الداعين ومطالبهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فقوله عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ يعدّ دعاءً، وإن لم يكن ذلك ظاهراً «أي: وإن

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ١٨٩/٥، فتح القدير، الشوكاني ٢/٢٥٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٣/٣٤٩.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، لخطيب القزويني ٩٣/٣.

كُفُورٍ ﴿ لقمان: ٣٢ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

والعبادة طلب الثواب بالأعمال الصالحة، كالنطق بالشهادتين، والعمل بمقتضاهما، والصلاة والصيام والزكاة والحج والذبح لله والنذر له، وبعض هذه العبادات تتضمن الدعاء بلسان المقال مع لسان الحال كالصلاة، فمن فعل هذه العبادات وغيرها من أنواع العبادات الفعلية، فقد دعا ربه، وطلبه بلسان الحال أن يغفر له. والخلاصة أنه يتعبد لله طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه، وهذا النوع لا يصح لغير الله تعالى، ومن صرف شيئًا منه لغير الله فقد كفر كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، وعليه يقع قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].<sup>(١)</sup>

جاء الدعاء بمعنى العبادة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(١) انظر: فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ١٨٠.

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿ [غافر: ٦٠].

«أي: اعبدوني بدليل ما بعده (عبادتي) وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ ﴾ [غافر: ١٤]، أي: (اعبدوا)»<sup>(٢)</sup>.

ومثله قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٧]، أي: عبادتكم<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿ لَنْ نَدْعُوا مِن دُونِهِ إِنَّمَا ﴾ [الكهف: ١٤]، أي: نعبد<sup>(٤)</sup>.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قال: (الدعاء هو العبادة) وقرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].<sup>(٥)</sup>

قوله: (الدعاء هو العبادة): أتى بضمير

- (٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ٤١٣/١.
  - (٣) معجم ألفاظ القرآن ٤١٤/١.
  - (٤) معالم التنزيل، البغوي ٣/٣٢٤.
  - (٥) أخرجه أبو داود في سننه، باب تفرغ أبواب الوتر، باب الدعاء، ٧٦/٢، رقم ١٤٧٩، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، ٦١/٥، رقم ٢٩٦٩، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ١٢٥٨/٢، رقم ٣٨٢٨.
- قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٦٤١/١، رقم ٣٤٠٧.

أن تحمل العبادة على المعنى اللغوي؛ إذ الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ حيث عبر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار، ووضع عبادتي موضع دعائي، وجعل جزاء ذلك الاستكبار الصغار والهوان<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

أي: ادعوا الله وحده، مخلصين له العبادة التي أمركم بها، ولا تلتفتوا إلى كراهة الكفار، ودعوهم يموتوا بغيبهم، ويهلكوا بحسرتهم<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

أي: تعبدونهم أو تدعونهم من دونه عز وجل للاستعانة بهم، لا يستطيعون نصركم في أمر من الأمور<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

أي: أعتزل ما تعبدون من دون الله، وأعبد ربي، عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته، كما

الفصل والخبر المعرف باللام ليدل على الحصر في أن العبادة ليست غير الدعاء مبالغة.

ومعناه أن الدعاء معظم العبادة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة)<sup>(١)</sup>، أي: معظم أركان الحج الوقوف بعرفة.

أو المعنى: أن الدعاء هو العبادة، سواء استجيب أو لم يستجب؛ لأنه إظهار العبد العجز والاحتياج من نفسه والاعتراف بأن الله تعالى قادر على إجابته.

ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قيل: استدل بالآية على أن الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به، والمأمور به عبادة.

واستشهد بالآية لدلالته على أن المقصود يترتب عليه ترتب الجزاء على الشرط، والمسبب على السبب، ويكون أتم العبادات، ويقرب من هذا قوله:

(مع العبادة)، أي: خالصها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أي: عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين ذليلين.

قال الطيبي: «معنى حديث النعمان

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج، ٢/ ٢٢٩، رقم ٨٨٩، وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، ٢/ ١٠٠٣، رقم ٣٠١٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٦٠٦، رقم ٣١٧٢.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٧٠٨.

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٦٩٠.

(٤) انظر: روح المعاني، الألويسي ٩/ ١٤٦.

تشقون أنتم بعبادة الأصنام<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعْوَاهُمْ غَفُوفُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

«أي: لا أحد أضل منه، ولا أجهل، فإنه دعا من لا يسمع فكيف يطمع في الإجابة فضلاً عن جلب نفع، أو دفع ضرر؟ فتيبين بهذا أنه أجهل الجاهلين، وأضل الضالين والاستفهام للتقريع والتوبيخ»<sup>(٢)</sup>.

والمأمل في حقيقة الدعاء يجد فيه تذكيراً بأصول العقيدة، وتجديداً للوعي بها؛ قال ابن عقيل: «قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

أحدها: الوجود، فإن ما ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: الوعد باستجابة دعاء الداعين:

من شروط قبول الدعاء الثقة بالله تعالى،

واليقين بالإجابة<sup>(٤)</sup>: فهو سبحانه على كل شيء قدير؛ إذ يقول للشيء كن فيكون، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ومما يزيد ثقة المسلم بربه تعالى أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِعِنَّا بِحَرْبِهِ وَنَا نَزَلْهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

والله عز وجل رغب عباده في الدعاء، ووعدهم لبالغ رأفته ورحمته بهم وكرمه السابغ معهم بالإجابة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومع الثقة في الإجابة يكون الإلحاح على الله عز وجل في الدعاء، فلا استعجال في تحقق المراد، ولا استبطاء لوقوعه؛ مما يلور توكلًا صادقًا على الله، ويقينًا راسخًا

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ١/ ٢٣٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٥/ ٢٠.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص ٤٥٨.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب ٢/ ٤٠٧.



آداب الدعاء

للدعاء آداب سوف نعرضها في النقاط الآتية:

أولاً: الدعاء بأسماء الله الحسنى:

من أعظم الثناء على الله عز وجل الدعاء بالأسماء الحسنى، والتوسل بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠-١٨١].

ومن دواعي الإجابة تحري الأديعية التي اشتملت على اسم الله الأعظم؛ فعن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وفاتحة آل عمران: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢-١])<sup>(١)</sup>.

ويستحضر الداعون حين يرفعون أكتفهم بالدعاء عبوديتهم الخاضعة لله وحده،

(١) أخرجه أبو داود في سننه، تفرغ أبواب الوتر، باب الدعاء، ٨٠/٢، رقم ١٤٩٦، والترمذي في أبواب الدعوات، ٣٩٤/٥، رقم ٣٤٧٨، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، ١٢٦٧/٢، رقم ٣٨٥٥. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢٢٩/١، رقم ٩٨٠.

وتتجدد في وعيهم أبعاد وحدانية خالقهم المعطي سبحانه الذي يتوجهون إليه، وهم ينشدون تحقيق ما يرغبونه من جلب نفع، أو كشف ضرر، أو طلب حاجة.

وقد أفاضت آيات من القرآن في بيان ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلُكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَسْأَلُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَضُرُّونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْسِهِمْ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَليُّنَ الْعَشِيرِ﴾ [الحج: ١١-

[١٣].

لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَجِئُوا لَهُ مِنَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَنْ يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالطَّلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرُوا أَنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ انْخَدَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَقَالِكُمُ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِلُونَ ﴿٤١﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٣].

وكل من استغاث بغير الله، أو دعا غير الله دعاء عبادة أو دعاء مسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك مرتد، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِيَسْرُبَ لَكُمْ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِي شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٧٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ

وقال عز وجل: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ [الأنعام: ٨٨].

على من يتوجه إلى ربه عز وجل بعد شعوره بضعفه، وحاجته الماسة إلى ملك الملوك، ومن بيديه خزائن السموات والأرض أن يحمده ربه ويشني عليه، ويمجده بما هو أهله، ويجعل ذلك وسيلته إلى رضا ربه وقبول دعائه، يظهر ذلك في أدعية القرآن الكريم؛ فسورة الفاتحة التي هي أم الكتاب، والجامعة لمقاصده بدأت بحمد الله، وأنتت عليه ومجده سبحانه وتعالى، ثم ذكرت الاعتراف بعبوديته، والاستعانة به وحده، وشرعت بعد ذلك في أعظم دعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

«ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم، توصل إليهم بأسمائه وصفاته، وتوصل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يردّ معهما الدعاء»<sup>(١)</sup>.

ومن أدعية القرآن المبدوءة بتمجيد الله تعالى:

﴿دَعَاءُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

﴿إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿دَعَاءُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوفِّقِنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِنِي بِالصَّلَاتِ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿دَعَاءُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ثانِيًا: الإخلاص في الدعاء:

الإخلاص: هو تصفية الدعاء من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله وحده، لا شرك فيه، وإنما يرجو العبد ثواب الله وينشد تحقيق أماله من الله وحده مخلصًا له سبحانه في عبوديته له.

وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٢٣/١.

كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة<sup>(٢)</sup>، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن أَحْسَنُ دِينًا وَمَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والدعاء والعمل لله وحده، والإحسان فيه: متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته<sup>(٣)</sup>، فيجب على المسلم أن يكون متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في كل أعماله؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقوله: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَلَأَكُم

تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

ويرتبط التوحيد بالإخلاص في الدعاء، قال عز وجل: ﴿قُلْ اللَّهُ أَغْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [١٤] فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي الَّتِي خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْفِتْرَانُ الْمَيِّتِينَ﴾ [الزمر: ١٤-١٥].

وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٌ كَثِيرٌ إِلَى الْمَاءِ يُبَلِّغُ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِيهِ ۖ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

والعمل الصالح هو ما كان موافقاً لشرع الله تعالى، ويراد به وجه الله سبحانه، فلا بد أن يكون الدعاء والعمل خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿بَشِّرْكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

قال: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا

(٢) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٨٩/٢.

(٣) انظر: المصدر السابق ٩٠/٢.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٠٩/٣.

تَهْتَدُونَ ﴿ [الأعراف: ١٥٨].

وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلْتُمْ وَمَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْأَمِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقد يتوسل العبد إلى الله تعالى بأنواع التوسل المشروعة؛ قال تعالى: ﴿وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه<sup>(١)</sup>.

وأنواع التوسل المشروع ثلاثة:

١. التوسل في الدعاء باسم من أسماء الله تعالى، أو صفة من صفاته، كأن يقول الداعي في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ومن دعاء سليمان عليه السلام ما قاله الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْضِعْهُ أَن أَسْكُرُ فَيَمْنَعَكَ الْيَتِيمَ أَنْ تَعَمَّ عَلَيَّ وَطَنِي وَالْذَنبَ وَإِن أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢. التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي نفسه، ويدل على مشروعية ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَمَعْنَا الرَّسُولَ فَكَتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

٣. التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر، وهو أن يطلب المسلم المفرط والمقصر في دين الله من رجل صالح تقي أن يدعو له ربه فيفرج عنه كربته.

ثالثاً: الدعاء رغباً ورهباً:

مدح الله تعالى عبده زكريا عليه السلام وأهله بتدليلهم عند دعائهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ذكر الحافظ ابن كثير بسنده عن عبد الله ابن حكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإنني أوصيكم بتقوى الله، وتشتوا عليه بما هو له أهل، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢ / ٥٣.

بالقلب، وإظهار الخشوع لله عز وجل، ويرتبط الخشوع وحضور القلب بالإقبال على الدعاء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَنِاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].<sup>(١)</sup>

والمراد بالخشوع والخضوع وحضور القلب أن يقصد بدعائه الخضوع والتذلل لعظمة ربه، كما هو وصف العبد اللازم له، ولا يكون الدعاء بلسانه والغفلة بجنانه، فيكون مانعاً له من مراده.

إنّ الخشوع والخضوع أرجى لقبول الدعاء؛ لأنّ فيه تعظيم الله تعالى، واستحضار الضعف مع التأدّب عند مناجاة الربّ.

قال تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

وهذا أمر بالدعاء وتعبد به، ثم قرن جلّ وعزّ بالأمر صفات تحسن معه، وهي: الخشوع والاستكانة والتضرّع، أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقّب وتخوف وتأمّل لله عز وجل حتّى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجنّاحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك

بالمسألة، فإنّ الله أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَنِاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].<sup>(١)</sup>

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ذكر الإمام القرطبي: «قيل: الرغب: رفع بطون الأكف إلى السماء، والرهب: رفع ظهورها»<sup>(٢)</sup>.

ومتى كان الدعاء رغباً ورهباً فلا يقع من العبد شيء من الاستعجال أو ترك الدعاء؛ فالعبد لا يستعجل في عدم إجابة الدعاء؛ لأن الله قد يؤخر الإجابة لأسباب: إما لعدم القيام بالشروط، أو الوقوع في الموانع، أو لأسباب أخرى تكون في صالح العبد وهو لا يدري، فعلى العبد إذا لم يستجب دعاؤه أن يراجع نفسه، ويتوب إلى الله تعالى من جميع المعاصي، ويشير بالخير العاجل والأجل، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

الخشوع واستحضار القلب عند الدعاء: يشترط في الدعاء الضراعة وحضور

(١) المصدر السابق ٣/ ١٨٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٣٦.

الإنسان، قال تعالى: ﴿تَبِعَ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَ الرِّجْدُ ﴿٥٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فرجى وخوف، فيدعوه الإنسان خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُوكَ رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] (١).

وقد ذم الله الذين لا يتضرعون إليه، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِلرَّيْبِ وَمَا يَنْضَرِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

وقال الله عز وجل: ﴿فَأَخَذْتَهُم بِالْأَسْأَةِ وَالضَّرَبِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا نَضُرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْيَمِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

وقال عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

مع هذا كله يجب أن يكون الداعي حاضر القلب، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه، وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب

(١) انظر: المصدر السابق ٢٢٧/٧.

غافل) (٢).

وقد أمر الله تعالى بحضور القلب، والخشوع في الذكر والدعاء، فقال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يتضرع عند الدعاء حتى يكاد يسقط رداؤه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدرٍ نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مَدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩]. فأمدّه الله بالملائكة (٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٣٦/٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب

به، لا شأن للعبد فيه، فمن تأمل نصوص الكتاب الكريم يلاحظ أنّ الأوقات ليست كلّها سواء، فمنها ما تفتح فيها أبواب السماء، ولا يحجب فيها الدعاء، ومنها ما تستنزل فيها الرحمة أكثر من غيرها، وفيما يلي ذكر لبعض هذه الأوقات والأحوال، والأماكن التي ترجى فيها الإجابة:

### ❁ جوف الليل ووقت السحر.

وقد مدح الله المستغفرين بالأسحار، فقال عز وجل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: هم المؤمنون، وبلغنا أن نبي الله يعقوب حين سأله أن يستغفر لهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨].

قال بعض أهل العلم: إنه آخر الاستغفار إلى السحر، وهي الساعة التي تفتح فيها أبواب السماء، قال ابن زيد: السحر هو السدس الأخير من الليل (٣).

### ❁ يوم الجمعة.

وقت اجتماع الهمم، وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّى لِبَاسُكُمُ اللَّيْلُ لِمَ تَلْبَسُونَ ثِيَابًا تَلْبَسُونَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَعْبُدُونَ فِيهِ اللَّهَ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا مَّغْفُورًا﴾ [البقرة: ١٨١].

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١١/ ٤٥٥.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إمّا لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله؛ لما فيه من العدوان، وإمّا لضعف القلب، وعدم إقباله على الله، وجمعيته عليه وقت الدعاء، وإمّا لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام، وريث الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها» (١).

فلابد للمسلم في دعائه من أن يحضر قلبه مع الله عز وجل، ونعني به أن يفرغ الداعي قلبه عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه، ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء، فقد حصل حضور القلب، وهذا أعظم شروط قبول الدعاء (٢).

## رابعاً: تحري أوقات ومواطن الإجابة:

من الأسباب الداعية إلى استحضار القلب تحري الأحوال المختصة بالإجابة؛ فإجابة الدعاء علم قد اختص الله تعالى

الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٣/ ١٣٨٣-١٧٦٣.

(١) انظر: الجواب الكافي، ص ٨-٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي ١/ ١٦١، جامع العلوم والحكم، ابن رجب ٢/ ٤٠٣.

ذَكَرَ اللَّهُ وَذَرُّوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿الجمعة: ٩-١٠﴾.

❁ رمضان.

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُشْكِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿البقرة: ١٨٥-١٨٦﴾.

فقد ذكر سبحانه إجابة الدعاء عقب ذكره فريضة الصيام، وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم) (١).

❁ ليلة القدر.

وهي أكثر الليالي أهمية في استجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمْنَاهُ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿القدر: ١-٥﴾.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) (٢)، فعلى المؤمن أن يتحرى هذه الليلة، ويحييها بالصلاة والدعاء.

❁ حال السجود.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ١٩].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء) (٣).

❁ الحرم المكي.

ويظهر ذلك فيما ورد عن بعض الصحابة

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، ٤١٦/٥، رقم ٣٥١٣، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، ١٢٦٥/٢، رقم ٣٨٥٠.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح، ٦٤٦/١، رقم ٢٠٩١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٠-٤٨٢.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، باب في العفو والعافية، ٤٧٠/٥، رقم ٣٥٩٨، وابن ماجه في سننه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، ٥٥٧/١، رقم ١٧٥٢.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ص ٣٨٣، رقم ٢٥٩٢.

وَالْأَصَالِ ﴿٣٨﴾ رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بُحْرَةً وَلَا بُيْعًا عَن  
ذِكْرِ اللَّهِ وَاقْبَارِ الصَّالَةِ وَإِنَّمَا الزُّكُوفُ يَخَافُونَ يَوْمًا  
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٩﴾ لِيَجْزِيَهُمُ  
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ  
مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿النور: ٣٦-٣٨﴾.

وفي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعية طيبة مرتبطة بالمسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك) (٣).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال: (بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك) (٤).

**خامساً: الدعاء وقت الشدة والضرورة:**

لابدّ للداعي أن يتوجه إلى الله تعالى توجه المضطر الذي لا يرجو غيره، وأن

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، ١/٤٩٤، رقم ٧١٣.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ١٥/٤٤، رقم ٢٦٤١٧، وابن ماجه في سننه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، ١/٢٥٣، رقم ٧٧١. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/٢٣٧، رقم ٦٣٢.

رضوان الله عليهم؛ فعن حبيب بن صهبان قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وهو يقول بين الباب والركن أو بين المقام والباب: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] (١).

• المساجد.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وأما قوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩].

فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، وقال آخرون: بل عنى بذلك: واجعلوا سجودكم لله خالصاً، دون ما سواه من الآلهة والأنداد، قال أبو جعفر: وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصاً، لا مكاءاً ولا تصدية (٢).

وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، جماع أبواب دخول مكة، باب القول في الطواف، ١٣٧/٥، رقم ٩٢٩١.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٢/٣٨٠-٣٨١.

إلى الله تعالى واللجأ إليه تعالى من الاضطراب، وقال السدي: «الذي لا حول له ولا قوة، وقيل: المذنب إذا استغفر، وهو إفتعال من الضرورة، واللام فيه للجنس، لا للاستغراق، فلا يلزم منه إجابة كل مضطر، ويكشف السوء الضرر، ويدفع عن الإنسان ما يسوءه»<sup>(٢)</sup>.

وقد ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه؛ فأما قوله تعالى: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ فهو كالتفسير للاستجابة، فإنه لا يقدر أحد على كشف ما دفع إليه من فقر إلى غنى، ومرض إلى صحة، وضيق إلى سعة إلا القادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا ينازع<sup>(٣)</sup>.

والسبب في ذلك أن الضرورة إليه بالالتجاء تنشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَرَيْنَ بِهَا فِي مَوْجٍ طَافٍ فِئْتَابًا وَرَبُّكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ أَعْتَبْتُمْ أُولَٰئِكَ لِيُوَكِّفَهُنَّ الْمَقَاتِلَ لَكُمْ وَأَوْ يَخْتِصِمَ بِكُمْ بِالْبِخْرِ أَمْ أُلْهِيَ بَلَاءُكُمْ فَكُنْتُمْ لَكُوفًا أَمْ كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٢٣/٧، أنوار التنزيل، البيضاوي ١٦٥/٤، معالم التنزيل، البغوي ٥١/٣، مفاتيح الغيب، الرازي ٥٦٥/٢٤.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٥٦٥/٢٤.

يرجع في كل حوائجه إلى ربه، ولا ينزلها بغيره من الأسباب التي لا تملك ضمراً ولا نفعاً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا جَمْعًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

إذا لجأ الداعي إلى ربه بقلب سليم، وكان دعاؤه حقيقياً صادقاً جاداً، تحقق الانقطاع الصادق بالاضطرار الحقيقي إلى الله تعالى الذي هو شرط في قبول الدعاء، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلُوفَ الْأَرْضِ أَبْوَابًا مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِنَّهٗ يُجِيبُ﴾ [النمل: ٥٣]. وهكذا قال ما هنا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضرر المضرورين سواه<sup>(١)</sup>.

المضطر المكروب هو ذو الضرورة المجهود الذي أحوجه مرض أو شدة، أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى التضرع

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٠٣/٦.

[يونس: ٢٢].

من الأشياء؛ منكم ومن غيركم، ﴿الْحَمِيدُ﴾  
يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة  
بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل  
حال<sup>(٣)</sup>.

قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إعلام بأنه لا افتقار  
إلا إليه، ولا اتكال إلا عليه، وهذا يوجب  
عبادته؛ لكونه مفتقراً إليه، وعدم عبادة غيره  
لعدم الافتقار إلى غيره<sup>(٤)</sup>.

وهذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون  
إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع  
مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد  
لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن  
من لم يفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه  
يحرمها في الدنيا، ومن لم يفضل الله عليه  
بمغفرة ذنوبه أو ببقته خطاياها في الآخرة<sup>(٥)</sup>.

والعبد يسأل ربه كل شيء يحتاجه في أمر  
دينه ودنياه؛ لأن الخزائن كلها بيده سبحانه  
وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا  
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾  
[الحجر: ٢١].

أي: وما من شيء إلا ونحن قادرون على  
إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه، فضرب  
الخبز مثلاً لاقتداره أو شبه مقدراته  
بالأشياء المخزونة، التي لا يحوج إخراجها  
إلى كلفة واجتهاد، وما ننزله من بقاع القدرة

(٣) جامع البيان، الطبري ٤٥٤/٢٠.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/٢٣٠.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب ٣٧/٢.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَجَسْتَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا  
هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

أجابهم عند ضرورتهم ووقوع  
إخلاصهم، مع علمه أنهم يعودون إلى  
شركهم وكفرهم، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا  
رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾  
[العنكبوت: ٦٥].

فيجيب المضطر لموضع اضطراره  
وإخلاصه<sup>(١)</sup>.

فمن اعتقد أن لله شريكاً لم يحصل له  
الاضطرار؛ لأنه يقول: إن كان هذا المعبود  
لا ينصرنى فذاك الآخر ينصرنى، وإن لم  
يحصل في قلبه الاضطرار لم تحصل  
الإجابة ولا النصرة<sup>(٢)</sup>.

والحق أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله  
تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم،  
في أمور دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا  
النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

«يقول -تعالى- ذكره-: يا أيها الناس أنتم  
أولو الحاجة والفقير إلى ربكم فإياه فاعبدوا،  
وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم،  
وتنجح لديه حوائجكم ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن  
عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

٢٢٣/٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٨٥/٩.

إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة، فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملاً على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم (١).

### سادساً: خفض الصوت في الدعاء:

من آداب الدعاء خفض الصوت، وجعله بين المخافتة والجهر؛ لقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَقْبَلَاتُ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانوا يجهرون بالدعاء، فلما نزلت هذه الآية أمروا أن لا يجهروا ولا يخافتوا، وتأويل الكلام - كما ذكر الطبري -: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها، فلا يسمعها أصحابك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٢).

والمراد بالصلاة: الدعاء، وهذا قول عائشة رضي الله عنها، وأبي هريرة، ومجاهد، وروي هذا مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية: إنما ذلك في الدعاء والمسألة، لا ترفع صوتك فتذكر

ذنوبك فيسمع ذلك، فتعير بها، فالجهر بالدعاء منهي عنه، والمبالغة في الإسرار غير جائزة، والمستحب من ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه، كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لم يخافت من أسمع أذنيه».

وروي عن الإمام مالك أنه قال: «إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ في الدعاء» (٣).

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْكَ فِي نَفْسِكَ نَضْرَجًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، المراد منه: أن يقع ذلك الذكر بحيث يكون متوسطاً بين الجهر والمخافتة، كما قال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وتفسير قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، المعنى: أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه، فإن المراد حصول الذكر اللساني، والذكر اللساني إذا كان بحيث يسمع نفسه فإنه يتأثر الخيال من ذلك الذكر، وتأثر الخيال يوجب قوة في الذكر القلبي الروحاني، ولا يزال يتقوى

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي ٣/ ٢٠٩.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٧/ ٥٨١-٥٨٨.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٧٢.

**ثالثها:** أنه -يعني الإخفاء- أبلغ في التضرّع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإنّ الخاشع الدليل الخاضع إنّما يسأل مسألة ذليل قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته.

**رابعها:** أنه أبلغ في الإخلاص.

**خامسها:** أنه أبلغ في جمعه القلب على الله في الدعاء، فإنّ رفع الصوت يفرّقه ويشتته، فكلمًا خفض صوته كان أبلغ في حمده، وتجريد همته، وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

**سادسها:** أنه دالٌّ على قرب صاحبه من الله، وآته لاقتربه منه وشدة حضوره يسأله أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

**سابعها:** أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإنّ اللسان لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته، فإنّه يكَلِّ لسانه وتضعف بعض قواه<sup>(٣)</sup>.

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يرفعون أصواتهم بالدعاء أنكروا عليهم قائلاً: (أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا)<sup>(٤)</sup>.

(٣) التفسير القيم، ابن القيم ص ٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ١٣٣/٥، رقم ٤٢٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر

كل واحد من هذه الأركان الثلاثة، وتنعكس أنوار هذه الأذكار من بعضها إلى بعض، وتصير هذه الانعكاسات سببًا لمزيد القوة والجلاء والانكشاف والترقي من حضيض ظلمات عالم الأجسام إلى أنوار مدبر النور والظلام<sup>(١)</sup>.

كما أنّ الدعاء مع هذه الهيئة يكون كما قال الله تعالى: ﴿وُخْفِيَةً﴾ لأنّ ذلك يكون أبعد من الرياء؛ ذلك أنّ الشريعة مقرّرة أنّ السرفيما يعترض من أعمال البر أعظم أجرًا من الجهر، قال الحسن بن أبي الحسن: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سرًا فيكون جهرًا أبدًا<sup>(٢)</sup>.

ويبيّن العلامة ابن القيم فوائد لإخفاء الدعاء، فيقول:

**أولها:** أنه أعظم إيمانًا؛ لأنّ صاحبه يعلم أنّ الله يسمع دعاءه الخفي.

**ثانيها:** أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الصوت، وإنّما تخفض عندهم الأصوات، ويخفت عندهم الكلام بمقدار ما يسمعون، ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا ربنا يسمع الدعاء الخفي، فلا يليق بين يديه إلا خفض الصوت.

(١) المصدر السابق ١٥/٤٤٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/٢٢٣-٢٢٤.

سابعاً: عدم الاعتداء في الدعاء:

ومن آداب الدعاء عدم الاعتداء فيه؛ فالاعتداء فيه من أسباب موانع إجابته، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقد فسر الاعتداء - في معنى الآية - بتكلف السجع في عبارات الدعاء، أو التفصيل فيه بتكلف (١).

وكذلك فسر برفع الصوت به؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما لعكرمة رحمة الله: «فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك» (٢). يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

والتعجل من صور الاعتداء في الدعاء، والإنسان خلقه الله تعالى وأوجد فيه غرائز وفطر فيكون أحياناً في غاية السرور والفرح من نفسه أو من أحد أقاربه وأصدقائه، وقد يتغير الحال تماماً فيصير القريب عدواً، والعدو صديقاً، بل قد يدعو الإنسان أحياناً على نفسه وولده، ثم يندم بعد قليل، فلو

استجيب الدعوة لدام حزن هذا الإنسان إلى الأبد، قال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

قال أبو جعفر: «يقول - تعالى ذكره -: ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم في الشر، وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال ﴿اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾، يقول: كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به ﴿لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾، يقول: لهلكوا، وعجل لهم الموت، وهو الأجل» (٣).

والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ٢٠٧٦/٤، رقم ٢٧٠٤.

(١) الأذكار، النووي ص ٤٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء، ٧٤/٨، رقم ٦٣٣٧.

(٣) جامع البيان ٣٣/١٥.

واعتراف بالذنب؛ مما يسجّله قوله تعالى:  
﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وذلك عندما «قال آدم: أي ربّ أرايت إن تبت واستغفرت؟! قال: إذا أدخلك الجنة، فقالا قولهما السابق، وهي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه»<sup>(١)</sup>.

وكانت الاستجابة للدعاء والاستغفار؛ فغفر الله لهما، كما قال سبحانه: ﴿فَلَقَدْ جَاءَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ثم أكرمه الله بالاصطفاء، فقال عز وجل:  
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

ونخصّه بالاجتباء، فقال عز وجل: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

## ❖ نوح عليه السلام.

فقد سجّل القرآن ما كان من حرص نوح عليه السلام على دعوة قومه ليلاً ونهاراً، لكن ذلك كله لم يغيّر من إعراضهم وصددهم شيئاً، بل استمروا في كفرهم حينها انقطعت الحجة، واستحقوا العذاب، فدعا عليهم عليه السلام بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦١﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْسُدُوا عِبَادَتَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٦٢﴾ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٠٦.

## أنواع الدعاء

ينقسم الدعاء في القرآن إلى دعاء ممدوح ودعاء مذموم، وسوف نعرضها في النقاط الآتية:

### أولاً: الدعاء الممدوح:

إن أعظم الأدعية الممدوحة هي تلك التي أثرت عن الأنبياء عليه السلام. وقد سجّلت آيات القرآن الكريم كثرة من أدعية الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، والنظر فيها يعلم المسلم كثيراً من آداب الدعاء، ويهبه كثيراً من أوجه الخير؛ إذ يعرف كيف يدعو، وبم يدعو، ويتجدد وعيه بسير الأنبياء والمرسلين ممن يؤمن المسلم بهم، وهم لديه في مقام القدوة والاحتذاء.

وقد اهتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من عباد الله الصالحين بالدعاء، فاستجاب الله دعاءهم، وهذا كثير في القرآن ومن أمثلته:

### ❖ آدم عليه السلام.

ذكر القرآن الكريم ما كان من وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

وما ترتب على ذلك من ندمه عليه السلام وزوجه؛ أنتدّب اتجها إلى الله في ذل وانكسار

مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٦﴾ [نوح: ٢٦-٢٨].

وسبب الدعاء عليهم هو إضلالهم لعباد الله سبحانه وتعالى، وأنه لن يخرج من أصلابهم إلا الكفار، ولا شك أن هذا من علم الغيب، ولكن الله سبحانه وتعالى أطلع عليه نوحًا بما أوحى إليه، قال الطبري: «قال قتادة: أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْ نُوْحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]. فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح»<sup>(١)</sup>.

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: «لما استنفذ الله سبحانه وتعالى من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين، أوحى الله إليه»<sup>(٢)</sup>. وقال السعدي: «وإنما قال نوح ذلك لأنه مع كثرة مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم علم بذلك نتيجة أعمالهم؛ فلهذا استجاب الله دعوته، فأغرقهم أجمعين، ونجى نوحًا ومن معه من المؤمنين»<sup>(٣)</sup>.

وقد استجاب الله عز وجل دعاء نوح عليه السلام على قومه فأغرقهم بالطوفان، وأنجاه ومن آمنوا معه؛ قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَنَحْنَا

أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَلَأْ مِنْهُمُ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ فَجَرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ [القمر: ٩-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنعَمِ الْمَجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥-٧٦].

وقال: ﴿وَنُوْحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

✽ إبراهيم عليه السلام.

وكان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام معروفًا بالدعاء والمناجاة؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

إنه كان يكثر من الدعاء<sup>(٤)</sup>.

قال الله تعالى عن دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٥].

فاستجاب الله له؛ قال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء: ٥٤].

(١) جامع البيان ٢٩/١٠١.

(٢) أحكام القرآن ٣/١٠٥٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٢٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/٢٤٩.



أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾  
 وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْتِغَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٣-٨٧].

ثم استجاب الله دعاءه، ورد عليه يوسف وأخاه، قال الله: ﴿قَالُوا أَوَ لَمْ نَكْ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِغَفْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقِيصِي هَذَا فَأَلْقَوْهُ عَلَىٰ وِجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتَوْهُ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَفْتِنُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَكَلْتُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ [يوسف: ٩٠-٩٦].

﴿يوسف عليه السلام. ودعا يوسف عليه السلام ربه حين استشعر وطأة البلاء: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودته عن نفسه فاستعصم ولين لم يفعل ما أمره. لئسجنن وليكونا من الصغرين ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٢-٣٤].

ويطلعنا دعاء المرسلين على ما كان من جهدهم المبذول في تبليغ الرسالة لأقوامهم، والاجتهاد في هدايتهم؛ فكان في تدبر الآيات التي تعلقت بدعائهم عليهم السلام ما يذكر بسيرتهم، ويخوف من مغبة الإعراض عن الصراط المستقيم.

﴿موسى عليه السلام. وقد دعا موسى عليه السلام ربه طالباً عوناً للقيام بمهمة التبليغ على أكمل وجه، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿١٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿١٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ بَيْتِي ﴿١٩﴾ هَذَا أَخِي ﴿٢٠﴾ أَشَدُّ بِهِءَ أَرْزِي ﴿٢١﴾ وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ﴿٢٢﴾﴾ [طه: ٢٥-٣٢].

وقد استجاب الله له ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦].  
 ويعد أن وجد من الإعراض والعناد ما وجد دعا على فرعون وقومه، قال الله تعالى

وقيل: وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال، فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك، وهو من بناء المغالبة للمبالغة؛ «أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها»<sup>(٢)</sup>.

عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له)<sup>(٣)</sup>.

✽ سليمان عليه السلام.

وسليمان عليه السلام آتاه الله الملك، وسخر له الريح، وعلمه منطق الطير، وجعل جنوده من الثقلين، فدعا الله بأن لا يكون هذا الملك لأحد من بعده، فقال تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغِي لَأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يسلبنيه، وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى: لا ينبغي لأحد سواي من أهل زمني، فيكون حجةً وعلماً لي على نبوتي، وأني رسولك

عن موسى وهارون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

هذا دعاء عليهم بهلاك الأموال، أو جعلها غير منفع بها؛ لأنهم جعلوا تلك الأموال في سبيل الإضلال، فيضلون ويضلون، وكذلك دعا عليهم بقساوة القلوب جزاء جحدها للحق، وإعراضها عن الدعوة<sup>(١)</sup>.

وقد استجاب الله لهما ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩].

✽ يونس عليه السلام.

وهناك دعوة يونس عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن مقروناً بذكر الاستجابة لها. قال الله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَدِّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْغُرِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

إذ ذهب مغاضباً لقرومه لما تبرم بطول دعوتهم، وشدة شكيمتهم، وتمادي إصرارهم مهاجرين عنهم، قبل أن يؤمر، (١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٣٩/٨، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٦٤١/ص.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ٥٩/٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات، ٤٠٩/٥، رقم ٣٥٠٥.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٦٣٧/١، رقم ٣٣٨٣.

إليهم مبعوث<sup>(١)</sup>.

✽ أيوب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده؛ وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحراث شيء كثير، وأولاد كثير، ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده، وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك<sup>(٢)</sup>.

وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفًا في السؤال<sup>(٣)</sup>.

وقد استجاب الله عز وجل: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

✽ زكريا عليه السلام.

ودعا زكريا عليه السلام ربه طالبًا للذرية، قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٣٨] فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي

(١) جامع البيان، الطبري ٢١/٢٠٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٣٥٩.

(٣) أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/٥٨.

الْعَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِبَيْعِنِ مُصَدِّقًا بِكَلِمَاتِكَ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿[آل عمران: ٣٨-٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَرَزَكْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

ومع علمه أنه شيخ كبير، وأن زوجته عاقرة لا تلد، إلا أنه أخذ يناجي ربه ويدعوه خفية. قال تعالى: ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿١﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءُ خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٣﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأْيِ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٤﴾ يَرْتَفِئُ وَيُرِي مِنَ آيَاتِ لَدُنِّي وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٢-٦].

فاستجاب الله له ورزقه بيحيى سيدًا وحصورًا ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

✽ عيسى عليه السلام.

وقد دعا عيسى عليه السلام ربه أن ينزل المائدة على قومه كما طلبوا منه؛ لتكون دليلًا على نبوته، فقال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا

اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، ماذا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فاتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُبِدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنفال: ٩-١٠]. فأمدده الله بالملائكة (٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١٢٤﴾﴾ إِنَّ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

وبهذا كان المؤمنون من الصحب الكريم تمثيلاً لمرحلة من نصره دين الله في تاريخ البشرية تذكراً بما كان من جنود طالوت الذين ثبتهم الله وقاتلوا جالوت؛ ولما اشتد (٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة، ٣/١٣٨٣، رقم ١٧٦٣.

وَمَا خَرْنَا وَمَا يَأْتِيكَ مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

محمد صلى الله عليه وسلم.  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه يفرعون إلى الدعاء؛ وفي هذا تعليم للأمم، وتربية في حسن التوجه إلى الله، وصدق التوكل عليه، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَرِضْمَ الْوَكِيلِ ﴿١٧٣﴾﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ آلَهُمْ وَهُمْ لَبِئَاسٌ ﴿١٧٤﴾﴾ وَقَضَىٰ اللَّهُ وَرِضْمَ الْوَكِيلِ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

وفي بدر حيث التقى الجمعان، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، واستنصره متضرعاً إليه حتى سقط رداؤه، فأنجز له الله تعالى ما وعده، وأمدّه بألف من الملائكة مردفين، ولاحت بشائر الانتصار (١).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) (١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٢٧٥.

الفرع بأصحاب طالوت لكثرة العدد والعدة في صفّ جالوت وجنوده، طلبوا من الله النصر في ضراعة؛ فدعوا الله متضرعين.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْتَ أَقْدَامِنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١].

وفي كل المراحل التي نهض المؤمنون فيها بجهادهم لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله كان التعويل على الدعاء يستمد به العون من ناحية، ويتوقى به اليأس من انقطاع الأسباب أو الاغترار بها من ناحية أخرى.

ويتأسى المسلمون بما تضمنته آي القرآن من أدعية الصالحين من عباد الله المؤمنين؛ إذ يلازم الدعاء إخلاص عبوديتهم لله وتمسكهم بدينه، وجهادهم في سبيله، ويتأسس دعاؤهم على عبوديتهم الخاشعة لله التي تملأ قلوبهم يقيناً بالاستعانة به وحده؛ فلا مدعو غيره، ولا مسئول سواه، ومع استحضار هذه المعاني في القلوب يكون (الصراط المستقيم) هدفاً وغاية. ومن رحمة الله بعباده أن كان الوقوف بين يدي

الله في كل صلاة وسيلة لتجديد الوعي بهذه الأبعاد؛ إذ يضرع المسلمون بهذا الدعاء في كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ تَعَبَّدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥-٦].

ويدعو المسلم ربه كل يوم في فاتحة الكتاب - التي لا صلاة إلا بها - بهذا الدعاء ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

إن الهدف المبتغى الذي يضرع المسلم بهذا الدعاء العظيم لأجله هو الهداية للصرط المستقيم؛ وهو صراط وسط بين سبيل من حل عليه الغضب، ومن زل في الضلالة.

﴿أَهْدِنَا﴾ دعاء ورغبة من المرئوب إلى الرب، والمعنى: دلنا على الصراط المستقيم، وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقربك، قال بعض العلماء: فجعل الله جل وعز عظم الدعاء وجملته موضوعاً في هذه السورة...، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي؛ لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (ليس شيء أكرم على

الله من الدعاء) (١)(٢).

بـ ﴿إِصْرًا﴾ العهد، كما قال جل ثناؤه:

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ [آل عمران: ٨١].

وإنما عنى بقوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِ عِثْرًا﴾

﴿إِصْرًا﴾، ولا تحمل علينا عهدًا فنعجز

عن القيام به ولا نستطيعه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ﴾

﴿عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ يعني: على اليهود

والنصارى الذين كلفوا أعمالًا، وأخذت

عهودهم وموائيقهم على القيام بها، فلم

يقوموا بها، فعوجلوا بالعقوبة، فعلم الله

عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

الرجبة إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده

وموائيقه على أعمال إن ضيعوها أو أخطأوا

فيها أو نسوها، مثل الذي حمل من قبلهم،

فيحل بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه مثل

الذي أحل بمن قبلهم» (٤).

ويرتبط الإيمان بالتوجه الى الله بالدعاء

صدورًا عن العبودية الخاشعة؛ كما نجد في

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي

لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ

لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ

الْآبَرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي

يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّحِيمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا

ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(٤) جامع البيان ٦/١٣٥.

والصراط الذي يسأل المؤمنون ربهم أن

يهدىهم إليه صراط من ظفر بالنعمة غير ضال

ولا مغضوب عليه؛ والمفسرون يوجهون

الدلالة إلى اليهود أهل الغلو في الدين،

والنصارى أهل الغلو في الرهبانية، وكلا

الطائفتين زلت في اعتقاد معوج متخبط.

«وقد اختلف في «المغضوب عليهم»

و«الضالين» من هم؟ فالجمهور أن

المغضوب عليهم اليهود، والضالين

النصارى» (٣).

وبتأمل أحوال الأمم السالفة يكون

استخلاص العبرة على نحو يتجلى في

دعاء المؤمنين وتضرعهم إلى خالقهم؛ قال

تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ

الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَآ طَاقَةَ لَنَا

بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا

فَاَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:

٢٨٦].

قال أبو جعفر: «ويعني بذلك جل ثناؤه:

قولوا: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ يعني

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة،

رقم ٨٧٤٨.

وحسنه الألباني في تعليقه على مشكاة

المصابيح، رقم ٢٢٣٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي

١٤٧/١.

(٣) المصدر السابق ١/١٤٩.

[آل عمران: ١٦].

ويستشعر المؤمنون أن هذه الهدايه نعمة جليلة، وهبة عظيمة يسألون الله أن يحفظها لهم ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ويظهر إدراك المؤمنين لعظم نعمة الإيمان في كثير من أدعية القرآن؛ ولا سيما حين تشتد المواجهة بين المؤمنين والكافرين؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

وقد تضرع الذين آمنوا مع شعيب عليه السلام إلى الله عز وجل قائلين: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

واستمد السحرة المؤمنون بموسى الصبر من ربهم، مستمسكين بدينهم حتى انقضاء أجلهم؛ ﴿رَبَّنَا أَنْفِخْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وتضرع الذين آمنوا معه ألا يكونوا فتنة للقوم الظالمين؛ على نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً

لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

وأيضا استمد أصحاب الكهف من ربهم الرحمة والرشد؛ حين خافوا الافتتان في دينهم، فهربوا إلى الكهف، ودعوا الله ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

والحواريون وهم أنصار عيسى عليه السلام وتلاميذه دعوا الله قائلين: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

قال أبو جعفر: «وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا﴾، أي: صدقنا ﴿بِمَا أَنْزَلْتَ﴾، يعني: بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ يعني بذلك: صرنا أتباع عيسى على دينك الذي ابتعثته به، وأعوانه على الحق الذي أرسلته به إلى عبادك، وقوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، يقول: فاثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقروا لك بالتوحيد، وصدقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك، وأحلنا محلهم، ولا تجعلنا ممن كفر بك، وصد عن سبيلك، وخالف أمرك ونهيك»<sup>(١)</sup>.

والحال كذلك مع رهبان النصراري وهم

(١) المصدر السابق ٦/٤٥٢.

ثمرة، وهي تجبى إليها ثمرات ما حولها، استجابةً لدعاء الخليل عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

ومن الله وحده يطلب المؤمنون خير الدنيا وخير الآخرة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قال أبو جعفر: «يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً، وارغبوا إليه فيما لديه من خير الدنيا والآخرة بابتهاج وتمسك، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصاً، ولطلب مرضاته، وقولوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ولا تكونوا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فكانت أعمالهم للدنيا وزيتها، فلا يسألون ربهم إلا متاعها، ولا حظ لهم في ثواب الله، ولا نصيب لهم في جناته، وكريم ما أعد لأوليائه»<sup>(٣)</sup>.

جاء في تفسير الرازي الإنسان خلق محتاجاً ضعيفاً، لا طاقة له بالأم الدنيا ولا بمشاق الآخرة، فالأولى له أن يستعذ بربه من كل شرور الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ﴿حَسَنَةً﴾ التي ذكر الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: يعني بذلك: ومن الناس من

الذين فاضت أعينهم بالدمع عند سماعهم القرآن لمعرفة أنهم بأنه الحق من ربهم ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

«هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله -تعالى ذكره- نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم آمنوا به»<sup>(١)</sup>.

ولهذا فقد كان من الدعاء المحمود الدعاء للمسلمين بالثبات على الدين؛ ويستفاد ذلك من دعاء إبراهيم عليه السلام لذريته بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قال ابن كثير في تفسير قوله: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ «أي: ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك، وكما أنه واد غير ذي زرع، فاجعل لهم ثماراً يأكلونها، وقد استجاب الله ذلك، كما قال: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْمُدَيِّ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ نَمْرَتٌ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته، أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٤٢/٢.

(٣) جامع البيان ٢٠١/٤.

(٤) مفاتيح الغيب ٣٣٦/٥.

(١) المصدر السابق ٥٠١/١٠.

يقول: ربنا أعطنا عافية في الدنيا وعافية في الآخرة، وقال آخرون: بل عنى الله عز وجل بالـ ﴿حَسَنَةً﴾ في هذا الموضع في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، وقال آخرون: ﴿حَسَنَةً﴾ في الدنيا: المال، وفي الآخرة: الجنة، وقيل: في الدنيا حسنة امرأة سالحة، وفي الآخرة حسنة الجنة والحدود العيون، وقيل: ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ رزقاً حلالاً، وعملاً صالحاً، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ المغفرة والثواب.

قال أبو جعفر: «والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله، ممن حج بيته، يسألون ربهم الحسنة في الدنيا، والحسنة في الآخرة، وأن يقيهم عذاب النار وقد تجمع الحسنة من الله عز وجل العافية في الجسم والمعاش والرزق والعلم والعبادة، وغير ذلك، وأما في الآخرة فلا شك أنها الجنة؛ لأن من لم ينلها يومئذ فقد حرم جميع الحسنات، وفارق جميع معاني العافية»<sup>(١)</sup>.

ومن خير الدنيا ما ينعم الله به على عباده من عطايا ونعم، وما يهبهم من ذرية مما يتجلى في هذا الدعاء الذي ورد في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

(١) انظر: جامع البيان ٤/٢٠٣-٢٠٥.

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد دعت امرأة عمران -أم مريم البتول- ربها قائلة أن يقي ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا وَصَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أَنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَعْتَ وَلَئِنَّكَ لَآلِئِنَّكَ كَالْآنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿﴾ [آل عمران: ٣٦].

أما في الآخرة فيشفق عباد الرحمن من النار، سائلين الله عز وجل أن يقيهم إياها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿﴾ [الفرقان: ٦٥].

ويسألونه الجنة ونعيمها، كما ورد في دعاء امرأة فرعون التي دعت ربها وتضرعت إليه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿﴾ [التحریم: ١١].

ويستقي المؤمنون مما ورد في أدعية الأنبياء والمرسلين كثيرًا من آداب الدعاء وشروطه؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم غالبًا ما يصدر دعاءه بالفعل (قل) لأنه تعليم من الله عز وجل لرسوله كيفية الدعاء، والأمر للرسول أمرًا لأُمَّته أيضًا، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

قال القرطبي: «استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله»<sup>(٤)</sup>.

كان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك، وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له، وتبرأ منه<sup>(٥)</sup>، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ آسَفًا لَهُ إِذْ أَخْبَرَهُ بِآيَاتِنَا إِذْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ بَرٌّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

ونوح عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين، وقيل: أراد بوالديه أباه وجده<sup>(٦)</sup>.

ودعاؤه الخاص لمن دخل بيته مؤمناً هو بر المؤمن بالمؤمن؛ وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وتخصيص الذي يدخل بيته مؤمناً؛ لأن هذه كانت علامة النجاة، وحصص المؤمنين الذين سيصحبهم معه في السفينة، ودعاؤه العام بعد ذلك للمؤمنين والمؤمنات هو بر المؤمن بالمؤمنين كافةً في كل زمان ومكان، وشعوره بأصرة القربى

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٤٦.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/١٥١.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣١٤/١٨.

عَلَيْهِ تَوَكَّأْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يدعو: ﴿وَقُلْ رَبِّ اعْوِذْ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

وهمزات الشياطين: خطراتها التي تخطر بها بقلب الإنسان<sup>(١)</sup>.

وأمره كذلك بقوله: ﴿وَاعْوِذْ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٨].

فقد أمر رسوله «بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعدما أمر بالعوذ من همزاتهم؛ للمبالغة في التحذير من ملابتهم، وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به، وتخصيص حال الصلاة، وقراءة القرآن، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة رحمه الله؛ لأنها أخرى الأحوال بالاستعاذة منها»<sup>(٢)</sup>.

وقد أمر الله عز وجل رسوله بأن يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

أي: أن يطلب الزيادة في العلم «وقيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم»<sup>(٣)</sup>.

ومن الخير أن يدعو الداعي في دعائه لنفسه ولغيره؛ فهذا إبراهيم عليه السلام

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ٥/٣٤٣.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/١٥٠.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٣/٨٧.

على مدار الزمن، واختلاف السكن، وهو السر العجيب في هذه العقيدة التي تربط بين أصحابها على تباعد الزمان والمكان<sup>(١)</sup>.

ولا يجوز الدعاء بالمغفرة والرحمة لغير المسلم، فقد نهى الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وكان سبب نزول هذه الآية وعد النبي صلى الله عليه وسلم لعمة أبي طالب بالاستغفار، لما في حديث سعيد بن المسيب، عن أبيه رضي الله عنه أنه أخبره، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب: (يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله)، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٧١٧.

الله عليه وسلم: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>.

ويعود النهي عن الاستغفار للمشركين لوعيد الله عز وجل إياهم بعدم المغفرة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].  
وكان الاستغفار لهم طلب بأن يخلف الله ووعيده<sup>(٣)</sup>.

ويلحق بالنهي عن الاستغفار للمشركين النهي عن الاستغفار للمنافقين؛ لقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

وإبراهيم عليه السلام فيه أسوة حسنة لهذه الأمة إلا في شأن الاستغفار لأبيه المشرك، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِ إِنَّآ بَرءٌ مِّنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، إِذْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ٩٥/٢، رقم ١٣٦٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، ٥٤/١، رقم ٢٤.

(٣) انظر: دعاء محمد صلى الله عليه وسلم، محمد أحمد وموسى الخطيب ص ٧٢.

قط؛ لأنها قطعة من القرطاس، وقد فسر بهما قوله تعالى: ﴿عَجَّلْنَا قَطَنًا﴾ أي: نصيبنا من العذاب الذي وعدته، قيل: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة، فقالوا على سبيل الهزاء: عَجَّلْنَا نصيبنا منها، أو عَجَّلْنَا لصحيفة أعمالنا ننظر فيها<sup>(٢)</sup>.

«وذلك لأن القوم كانوا في نهاية الإنكار للقول بالحشر والنشر، فكانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والنشر على فساد نبوته، واعلم أن الكفار لما بالغوا في السفاهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قالوا: إنه ساحر كذاب، وقالوا له على سبيل الاستهزاء: عَجَّلْنَا قَطَنًا أمره الله بالصبر على سفاهتهم، فقال: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧]<sup>(٣)</sup>.

«يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عَجَّلْنَا كِتَابَنَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَّلْ لَنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

أي: نصيبنا وحظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل، وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبتهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله

أَمَّا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ نَدَبْنَا عَلَيْكَ وَنُكَلْنَا وَإِيَّاكَ أَنْبَأْنَا وَإِيَّاكَ الْمَصِيرُ﴾ [المستحثة: ٤].

أي: لكم في إبراهيم عليه السلام وقومه أسوة حسنة، تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه؛ فإنه إنما كان عن موعدة وعدّها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه<sup>(١)</sup>.

### ثانيًا: الدعاء المذموم:

إن من أوضح صور الأدعية المذمومة، ما جاء عن الكافرين والضالين. وقد سجّلت أي القرآن بعضًا من أدعية الكافرين ممن أعرضوا عن الصراط المستقيم، والتأمل في دعائهم كاشف عن اضطراب إدراكهم، ومبلغ تكذيبهم، وقد اتخذوا من سبيل الغي سبيلًا في الدنيا، وعن حرج موقفهم ويؤس مصيرهم، وقد هووا في جهنم في الآخرة.

فمن دعاء الكافرين ما كان تعبيرًا صريحًا عن استبعاد ما جاءت به الدعوة من بدعات، واستهزاء بإمكان وقوع ما أكدت حدوثه من وعد ووعد.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

«القط: القسط من الشيء؛ لأنه قطعة منه، من قطه إذا قطعه، ويقال لصحيفة الجائزة:

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤/ ٧٧.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٣٧٣.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٤٩.

بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معنيٌّ به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر؛ فلذلك قلنا: إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر»<sup>(١)</sup>.

ومن دعاء الكافرين الكاشف عن موقفهم المعرض عن الدعوة ما ورد في قوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْيَمْرِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وفي هذا الدعاء ما فيه من استهزاء وتعنت؛ إذ لو كان فيه تحرُّ للحق لقالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له مثلاً، ولكنهم كفروا وأنكروا واستهزأوا! وقوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين<sup>(٢)</sup>.

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضًا ما حل بمن قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابِ الْيَمْرِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

إذ مكرت بهم، فأثيبتهم بعذاب اليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر، وهذه الآية ذكر أنها نزلت في النصر بن الحارث، كان يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد

عليه وسلم، فيؤمنوا حيثئذ به ويصدقوه، وقال آخرون: سألوها أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة: ١٩].

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]. في الدنيا لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم؟ ولينظروا من أهل الجنة هم أم من أهل النار قبل يوم القيامة استهزاءً منهم بالقرآن وبوعد الله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن القوم سألوها ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاءً بوعيد الله، وإنما قلنا: إن ذلك كذلك لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجواز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لبيبه: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧].

فكان معلومًا بذلك أن مسألتهم ما سألوها النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاءً، وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾ [ص: ١٦].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦٣/٢ - ١٦٥.  
(٢) الكشاف، الزمخشري ٦١٢/٢.

هو الحق من عندك فأطر علينا حجارة السماء أو اتتنا بعذاب أليم»<sup>(١)</sup>.  
 يقولون: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].  
 وهم يعلمون ما حل بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها، وكذبت رسلها من عقوبات الله، وعظيم بلائه<sup>(٢)</sup>.  
 وحين يأتي الموت يدرك الكافرون فساد ما كانوا عليه من اعتقاد وسلوك، قال تعالى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّبْتَغِ دَعْوَتَكَ وَتَسْتَجِيبَ الرَّسُولَ أَوْلَمْ نَكُفِّرُوا بَأْسَكُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

وحيث يأتي الموت يدرك الكافرون فساد ما كانوا عليه من اعتقاد وسلوك، قال تعالى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّبْتَغِ دَعْوَتَكَ وَتَسْتَجِيبَ الرَّسُولَ أَوْلَمْ نَكُفِّرُوا بَأْسَكُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].  
 وحين يتحقق العذاب في الآخرة وقد كانوا يستبعدونه، وحين يدركون مصيرهم الويل في الآخرة يتمنون لو يعودون إلى الدنيا عساهم يعملون صالحًا، ولكن هيهات!  
 يكشف ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].  
 أي: «أبصرنا ما كنا نكذب به، وسمعنا منك ومن ملائكته ومن أصوات النيران وغير ذلك ما كنا نستبعده فصرنا في غاية

العلم بتمام قدرتك، وصدق وعودك»<sup>(٣)</sup>.  
 فما أبصروه وما سمعوه جعلهم يطلبون الرجوع للعالم في الدنيا رغبة في العمل الصالح، ولكن لا أمل في رجوعهم، بل يلقون في النار، حينها يتعالى صراخهم ألمًا مما هم فيه، فيدعون ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧].  
 و﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].  
 وقولهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آتِنَا آتِنَيْنِ وَأَحْيِتَنَا أَتِنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].  
 وما كان دعاؤهم إلا خلاصًا من عذابهم، ونلمح في دعائهم بأسلوب الاستفهام (هل) المراد به: التمني والاستعطاف رغبة قوية منهم في إبراز غير الممكن في صورة الممكن، وجعلوا هذا الاعتراف ضربًا من التوبة توهمًا منهم أن التوبة تنفع يومئذ؛ فلذلك فرعوا عليه ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾... قال في الكشف: «وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط»<sup>(٤)</sup>، يريد أن في اقتناعهم بخروج ما دلالة على أنهم يستبعدون حصول الخروج<sup>(٥)</sup>.

ويدعو الكافرون بمضاعفة العذاب للمضلين: ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ زَعْفَاقِينَ مِنَ الْعَذَابِ

(٣) نظم الدرر، البقاعي ٥٥/٦.

(٤) الكشف، الزمخشري ١٥١/٤.

(٥) التحرير والتوير، ابن عاشور ٩٩/٢٤.

(١) انظر: جامع البيان ٥٠٥/١٣.

(٢) جامع البيان، الطبري ٣٥٠/١٦.

وَالْعَنَمِ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٦٨].

عن مجاهد، رحمه الله قال: «قول الرجل لولده إذا غضب عليه أو ماله: اللهم لا تبارك فيه والعنه»<sup>(٢)</sup>.

وقولهم في موضع آخر: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: ٦١].

قال ابن عاشور رحمه الله: «بيئت هذه الآية أن الرفق جعله الله مستمراً على عباده غير منقطع عنهم؛ لأنه أقام عليه نظام العالم إذ أراد ثبات بنائه، وأنه لم يقدر توازي الشر في هذا العالم بالخير لطفاً منه ورفقاً، فالله لطيف بعباده، وفي ذلك منة عظيمة عليهم، وأن الذين يستحقون الشر لو عجل لهم ما استحقوه لبطل النظام الذي وضع عليه العالم»<sup>(٣)</sup>.

وقولهم كذلك: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاقِبْتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وحين نتأمل الآية في سورة (ص) نجد الفعل (زده) قد وقع موقعه في إظهار شدة الحقد على هؤلاء المضلين؛ وذلك بطلب زيادة العذاب المضاعف لهم، والتعبير بالجار والمجرور ﴿فِي النَّارِ﴾ قوى المعنى، حيث جعل العذاب يحيط بهم في النار من كل جانب، كإحاطة الظرف بالمظروفين، وهذه الآية تختلف عما في الأعراف؛ لأن السياق فيها للطاغين، أما في الأعراف فهو لمطلق الكافرين<sup>(١)</sup>، ذلك أن الطغاة أشد بطشاً من الكفار.

وفي النهي عن الدعاء على النفس روى مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة يسأل فيها عطاءً، فيستجيب لكم)<sup>(٤)</sup>.

ثانياً: دعاء المرء على نفسه بالشر:

ويستفاد من الآية: لطف الله سبحانه وتعالى وإحسانه بعباده.

أخبر سبحانه وتعالى لو أنه يعجل للناس إجابة دعائهم في الشر كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة لهلكوا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَحْوَ إِلَيْهِمْ أَعْلَهُمْ فَندَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١٢ / ١٣١.  
(٣) التحرير والتنوير ١١ / ١٠٦.  
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ٤ / ٢٣٠٤، رقم ٣٠٠٩.

(١) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٦ / ٣٩٨.

قال الله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

والدعاء عبادة له آثاره البالغة، وفوائده العظيمة؛ لذلك أمرنا الحقّ جلّ في علاه بالدعاء، ورغبنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فكم من محنة رفعها الله عز وجل بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله عز وجل بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم جملةً من الأدعية التي استجابها الله تعالى بمنّه وفضله وكرمه.

يهدي النظر في آيات الدعاء في القرآن الكريم إلى كرم الله ورحمته بعباده ورأفته بهم؛ إذ يهبهم ما يطلبون.

وسنعرض بعضاً من الأمثلة الدالة على إعطاء الداعي ما طلب:

✽ إبراهيم عليه السلام.

طلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يعث في أمته «ذريته» المسلمة رسولاً: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتِكَ وَنُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَنُزِّلْهُم مِّنَ السَّمَاءِ أَنْزَالَ لِقَائِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقد طلب أن يكون الرسول منهم «لأنه يكون أشفق على قومه، ويكونون هم أعز به، وأشرف وأقرب للإجابة؛ لأنهم يعرفون منشأه وصنفه وأمانته»<sup>(٤)</sup>، فيعلمهم هذا

(٤) البحر المحيط، أبو حيان ١/٦٢٥.

## آثار الدعاء

للدعاء في القرآن آثار، ومن أهمها:

أولاً: إعطاء الداعي ما طلب:

الدعاء باب مفتوح للعبد إلى ربه سبحانه، يلتمس من خلاله كل ما يحتاجه في دنياه من صحة الأبدان، وسعة الأرزاق، والخلاص من البلاء، والنصر على الأعداء، وهذا الذي كان يقوم به الأنبياء عليهم السلام، والله تعالى يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم، من المطاعم والمشارب، كما يسألونه الهداية والمغفرة، والعفو والعافية في الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات»<sup>(٢)</sup>.

والدعاء أكرم شيء على الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب ٣٨/٢ - ٤٠.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ص ٤٥٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٦٠/١٤، رقم ٨٧٤٨، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٩، رقم ٧١٢.

وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٦٥، رقم ٥٥٢.

الرسول القرآن وما يكمل به نفوسهم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة، ويظهرهم عن دنس الشرك، وفنون المعاصي<sup>(١)</sup>.

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْ صَالِحِينَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقد جاء طلب الولد والذرية على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

فأجاب الله له دعوته، وبشره بغلام حلیم، وهو إسماعيل. قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

ثم أنعم الله على إبراهيم، فوهب له ابنه إسحاق حين دعاه، ووهب له من إسحاق يعقوب زيادة على ذلك، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢].

✽ نوح عليه السلام.

دعا نوح ربه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وأخبر الله عن دعائه فقال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

واستجاب الله دعاء نوح عليه السلام فقال: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآلَهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾

[الأنبياء: ٧٦].

✽ زكريا عليه السلام.

وزكريا عليه السلام الذي تاقته نفسه إلى الولد ليرثه ويرث من آل يعقوب، فدعا ربه قائلا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

و﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

فاستجاب له دعاه ووهب له على الكبر ابنه يحيى، قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، لَهُ زَوْجُهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

✽ سليمان عليه السلام.

طلب سليمان عليه السلام من ربه أن يعطيه الملك في قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَدِّلُ مِنِّي بَدِيلًا إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ولم يكن سؤاله عليه السلام «طلبنا لنفس الدنيا؛ لأنه هو والأنبياء أزهده خلق الله فيها، وإنما سألت مملكتها لله، كما سأل نوح دمارها وهلاكها لله؛ فكانا محمودين مجابين إلى ذلك، فأجيب نوح فأهلك من عليها، وأعطى سليمان المملكة»<sup>(٢)</sup>.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٥/٢٠٤.

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ١/١٦٢.

ولقد ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمور التي لا تنقطع عن الميت بعد موته، ومنها الدعاء، فقال: (أو ولد صالح يدعو له) (٣).

والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي والذنوب، ولرفع الدرجات، ولجلب الخير ودفع الشر، ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبواباً كثيرة من الخير، هذا وقد ذكر شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله عشرة أسباب لغفران الذنوب، حيث قال رحمه الله: «والسبب الرابع الدافع للعقاب دعاء المؤمنين للمؤمن، مثل صلاتهم على جنازته» (٤).

إن الدعاء من العبادات الجليلة التي أمر الله بها عباده المؤمنين، ووعدهم عليه جزيل الثواب، وتوعد من أعرض عنه بالإثم العظيم، وهو سمة للعبودية، ويستدعي به العبد من الله العناية، ويستمد منه المعونة، ويستجلب الرحمة، ويستدفع النقمة، ويظهر به الافتقار والذلة البشرية، متبرئاً من الحول والقوة، وإذا تأملت كتاب الله سبحانه وتعالى وجدت فاتحته تضمنت الدعاء، وخاتمته تضمنت الدعاء، ففاتحة الكتاب بدئت بدعاء الشاء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

أما قوله: ﴿لَا يَبْنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ «أي: أن يسأله فكأنه سأل منع السؤال بعده؛ حتى لا يتعلق به أمل أحد، ولم يسأل منع الإجابة» (١).

وقد استجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَّاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ۝٣٧ وَمَا كُنَّا بِمُفْرِّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٨].

فسخر الله الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاذ وأوثقه (٢).

### ثانياً: الأجر والثواب:

من عظم رحمة الله بخلقه وكرمه السابغ معهم أن جعل للدعاء خيراً ونفعاً وثواباً وأجرًا مما يظهر في الدنيا، ويمتد في الآخرة، ويرتبط الدعاء بالمحسنين ارتباطاً وثيقاً؛ قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

والدعاء صلة بين المسلم والمسلم حتى بعد الممات، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ١٢٥٥/٣، رقم ١٦٣١.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٢/٤٠٣.

(١) المصدر السابق.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٧١٢.

فجمع أيوب عليه السلام في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين.

والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره. ومتى وجد المبتلي هذا كشفت عنه بلواه. وقد جرب أنه من قالها سبع مرات ولاسيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره (٤).

وإذا ركب المشركون السفن وعلتهم الأمواج من حولهم كالسحب والجبال، أصابهم الخوف والذعر من الغرق ففزعوا إلى الله، وأخلصوا دعاءهم له، فلما نجاهم إلى البر، فمنهم متوسط لم يقيم بشكر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَالُوا لَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

#### موضوعات ذات صلة:

الاستغفار، التسبيح، الحمد، الذكر، السؤال

نَبِّ أَلْمَسْتَمِيتِ ﴿ [الفاحة: ٢]. وتلاه دعاء المسألة: ﴿أَعْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاحة: ٦]. وختم الكتاب بسورتَي المعوذتين: دعاء مسألة متضمنًا دعاء ثناء (١).

#### ثالثًا: رفع العذاب والبلاء:

الدعاء أحد أسباب رفع البلاء ودفع الشقاء، كما في قوله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعَزَّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]. أي: ولم أعهد منك إلا الإجابة في الدعاء، ولم تردني قط فيما سألتك (٢).

وهذا توسل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة، فسأل الذي أحسن سابقًا، أن يتم إحسانه لاحقًا (٣).

ومن أمثلة أدعية رفع الضر قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ: أَيُّ مَسَّنَى الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِنْدَنَا وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ ﴿ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

- (١) انظر: تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد ص ١٦.
- (٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥ / ١٨٨.
- (٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٨٩.

(٤) التفسير القيم، ابن القيم ص ٣٨١.